المحاضــرة السابعــة :

الانزيـــاح

تعد الأسلوبية منهجا نقديا يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب الأدبي خصائصه الفنية والجمالية ، فهي بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب ، ويعد الانزيـاح من أبـرز الظواهر التي تميزها

1-مفهوم الانزياح :

الانزياح لغة مصدر للفعل انزاح أي ذهب وتباعد ، أما اصطلاحا فهو مصطلح شاع استعماله في الدراسات النقدية والأسلوبية، يرجع الاهتمام به إلى البحث عن خصائصَ مميزة للغة الأدبية عمومًا، والشعرية خصوصًا.

وقد تبنَّى هذا المفهومَ عددٌ مِن الباحثين والنقاد، ومنهم جون كوهن الذي يرى أن الشرط الأساسي والضروري لحدوثِ الشِّعرية هو حصول الانزياح، باعتباره خرقًا للنظام اللُّغويِّ المعتاد ؛ فالانزياح كما في دلالته اللُّغوية خروج عن المألوف والمعتاد، وتجاوُزٌ للسائد والمتعارف عليه والعادي، وهو في الوقت نفسه إضافةٌ جمالية يمارِسها المُبدِع لنقل تجرِبته الشعورية للمتلقي والتأثير فيه، ومِن ذلك لا يُعَد أيُّ خروج عن المألوف وتجاوُزٍ للسائد وخرقٍ للنظام انزياحًا إلا إذا حقَّق قيمةً جمالية وتعبيرية ، يقول جون كوهن : "الأسلوب هو كل ما ليس شائعًا ولا عاديًّا ولا مَصُوغًا في قوالبَ مستهلكة...، هو مجاوزة بالقياس إلى المستوى العادي، فهو إذًا خطأٌ مُراد."

ومن أكثر التعريفات الواردة تعريفُ فاليري، الذي قال: "إن الأسلوب في جوهره انحرافٌ عن قاعدةٍ ما. .

و يرى ريفاتير أن الانزياح "يكون خرقًا للقواعد حينًا، ولجوءًا إلى ما ندر حينًا آخر، فأما في حالته الأولى، فهو من مشمولات علم البلاغة، فيقتضي إذًا تقييمًا بالاعتماد

على أحكامٍ معيارية، وأما في صورته الثانية، فالبحث فيه من مقتضيات اللسانيات عامة، والأسلوبية خاصة " .

ويرى بيار جيرو أن الأسلوب هو انزياح بالنسبة إلى معيار ، وقال: "كل انزياح لُغوي يكافئ انحرافًا عن المعيار على مستوى آخر؛ مزاج، وسط، ثقافة ...".

أما قاموس جون ديبوا، فيشير إلى أن الانزياح حَدَثٌ أسلوبي، "ذو قيمة جمالية، يصدر عن قرار للذَّاتِ المتكلِّمة بفعل كلامي يبدو خارقًا لإحدى قواعد الاستعمال التي تسمى معيارًا ، يتحدد بالاستعمال العام للغة مشتركة بين مجموع المتخاطبين بها".

2- تعدد المصطلح :

إن مفهوم الانزياح مفهوم تجاذبته وتعلقت بدائرته مصطلحات وأوصاف كثيرة، ومن البديهي أن تتفاوت المصطلحات، ولكن كثرتها تلفت الأنظار، وهذا التفاوت ليس في الكتب العربية فحسب، بل هي غربية المنشأ، وقد ذكر عبد السلام المسدي بعض تلك المصطلحات مع ذكر أصاحبها وترجمتها باللغة الفرنسية ، منها :

الانزياح L'écart فاليري

التجاوز L'abus فاليري

الانحراف La déviation سبيترز

الاختلال La distorsion والاك وفاران

الإحاطة La subversion بايتار

الانتهاك Le viol كوهين

الشناعة Le scandale بارت

خرق السند La violation de support تودوروف

اللحن L'incorrection تودوروف

3- الاهتمام بالانزياح:

رغم أن الانزياح مصطلحٌ حديث ارتبط بالأسلوبية وبالشعرية الحديثة، فإن المفهومِ الذي يدل عليه جذورًا بلاغيةً تعودُ إلى البلاغة اليونانية، كما نجد عند أرسطو الذي كان يُفرِّق بين اللغة العادية المعروفة والشائعة، وبين اللغة الغريبة غير المألوفة، مؤكدًا أن الثانية هي اللغة الأدبية ، لأنها تعبيرٌ عن الحركية والتجدُّد والحياة، على عكس اللغة العادية الدالة على السكون والنمطية المُمِلَّة.

أما في البلاغة العربية القديمة، فصُوَرُ الانزياح عرَفتِ اهتمامَ البلاغيين، رغم أنهم لم يعرفوا المصطلح، فإنهم بحثوا في الخروج عن القاعدة والمألوف بتسميات مختلفة تُشكِّل في النهاية علمَ البلاغة ؛ فدرسوا الاستعارة، والتقديم والتأخير، والعدول، إلى غير ذلك من المباحث البلاغية.

ويُعَدُّ عبدالقاهر الجُرجاني من أبرز النقاد الذين تطرَّقوا لمواضيع تُلامِس بقوةٍ مفهومَ الانزياح بمعناه الحديث؛ حيث أَوْلَى عِنايةً خاصة للعدول، وعدَّه مِيزةً كبيرة للشِّعر.

وفي العصر الحديث اهتمَّ بعض النقَّاد العرب بمفهوم الانزياح، وعلى رأسهم عبدالسلام المسدي، في كتابه (الأسلوب والأسلوبية)، وصلاح فضل، وتمام حسان، ومحمد العمري، وغيرهم، إلا أن المُلاحَظ هو أن النقاد العرب يصطلحون على المفهومِ اصطلاحات مختلفة؛ حيث تتداخل مع مصطلح الانزياح عدةُ مصطلحات، أهمها العدول .

4-أنواع الانزياح :

- **الانزياح الدلالي (الاستبدالي)**

وهذا النوعُ مِن الانزياح هو الأشهر والأكثر دلالةً وتأثيرًا في القارئ ، يُعرَف في البلاغة بالصورة الشعرية أو البلاغية، ويُعَد التشبيه والاستعارة والمجاز مِن أهم أشكال هذا الانزياح الدلالي ، وقد مثل له جان كوهين ببيت لفاليري :

هذا السطح الهادئ الذي تمشي فيه الحمائم

فالسطح في سياق القصيدة يعني البحر ، أما الحمائم فيقصد بها السفن ، ولو ذكرهما الشاعر بلفظيهما لما كانت هناك شعرية في البيت .

-ا لانزياح التركيبي

يتصل بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللُّغوية، عندما تخرج على قواعد النظم والتركيب؛ مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات .

فإذا كانت اللغةُ تفرِضُ نمطًا أو قانونًا تركيبيًّا مُعينًا، فكل خروجٍ عن هذا القانون يُعَدُّ انزياحًا تركيبيًّا، سواء كان الخروج يَمَسُّ ترتيب السلسلة الكلامية؛ أي: التقديم والتأخير؛ كقوله تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾]مريم: 40]؛ ففي الآية تقديم الجار والمجرور (إلينا يرجعون)؛ لإفادة القصر؛ أي: لا يرجعون إلا لله، أو الحذف، أو كان يمس نظام اللغة النَّحْوي.

وتجدر الإشارة أن هذينِ النوعين من الانزياحاتِ لا يمكن الفصلُ بينهما دائمًا، بل قد يتداخلان ويترتب أحدهما عن الآخر.